مناضلون ساندينيون وقد دبروا احد تمائيل سوموزا

مناضلة ساندينية تحرس الجرحى عشية الانتصار

نيكاراغوا وبدء التحولات الاشتراكية

الحكومة المؤقتة تواجه اقتصاداً محطماً، ومصانع مدمرة، وديوناً خارجية، وافلاساً في الخزينة

نقلت وكالات الانباء في الاسبوع الماضي انباء التأميمات التي بدأتها الثورة في القطاع المصرفي في نيكاراغوا . فقد حدد مرسوم ثوري تأميم سبعة بنوك خاصة في البلاد ، كما قرر الاشراف على نشاط اربعة بنوك اجنبية (ثلاثة منها اميركية وواحد بريطاني) وقد ذكر بان الحكومة الثورية تعتزم اجراء تأميمات اخرى في قطاعات صناعة استخراج المعادن والاخشاب والاسماك الى جانب شركات الاقراض .

ان تأميم المصارف والقطاعات الاقتصادية المهمة في نيكاراغوا ، اجراء لا بديل له في ظل ما تعانيه البلاد من صعوبات في شتى المجالات الاقتصادية والاجتماعية والصحية ، فالدكتاتور سوموزا لم يترك غير الخراب الذي حل في كل القطاعات ، بعد ان مارس قمع لم تشهده دول امريكا اللاتينية من قبل . واذا حاولنا ان نلقي نظرة سريعة على وضع البلاد ، وما خلفه سوموزا من فوضى وتدمير وخراب ، فسنصل الى قناعة بان لا سبيل امام الثورة سوى مزيد من التأميمات ، واتساعا في الاجراءات الكفيلة باحداث توزيع عادل للارض والدخل في المدينة والريف .

امر سوموزا بحرق المصانع

ثلاثة ارباع المصانع في العاصمة ، ماناغوا قد دمرت تماما . بل حرقت ، فقد امر الدكتاتور — بعد ان تاكد النصر للثوار ، وقرر مغادرة البلاد — احد طياريه الخاصين المدعو (موريرا) باعتلاء طائرة هيلكوبتر ومعه عشرات البراميل من البنزين قدرت بـ ٢٥٠ لتر ، على ان يقذفها على منطقة المصانع ، ومن بعده حلقت طائرة اخرى بنت النيران في المصانع، وكان من اثر ذلك ان شب حريق هائل حطم ٧٥ ٪ من المصانع ولقد قدرت الخسائر بمئات الالاف من الدولارات . ومن ناحية اخرى افرغ سوموزا وحاشيته البنك المركزي النيكاراغوي من آخر قطعة نقود فيه ، وحول ثروته الكبيرة الى امريكا .. ورحل تاركا الدمار في كل مكان . هذا ما حدث في العاصمة اما في المدن الاخرى ، فمدينة استيللي في الشمال لم تعد سوى ذكرى لمدينة قديمة ، حطمها الحرس الوطني في الهجوم الذي شنه جوا وبرا حين احتلها الثوار الساندينيين ومدينة ماناغالبا ، التي تعمل البلدوزرات لازالة الانقاض المتناثرة عليها لانه لم يعد فيها بناية واحدة قائمة . تلك هي بعض الكوارث التي تواجهها الحكومة المؤقتة ، والتي ستضاعف اكثر اذا اتجهنا الى الريف الذي عانى الكثير وحارب بعناد في الاشهر الاخيرة .. والحال فالدولة فضلا عن كل ذلك تعاني من الديون الخارجية التي تركها النظام السامؤزي والتي قدرت بـ ١٢٠٠ مليون دولار ، معظمها شراءات للاسلحة من الدول الامبريالية ، ولقد صرح مؤخرا احد اعضاء الحكومة ، بان حكومته تتعهد بدفع ديونها الى الخارج ما عدا ما اوخذ على شكل سلاح من سوموزا ، فعلى سبيل المثال حدد المسؤول بان كل من النظامين الارجنتين و« اسرائيل » لن تدفع حكومته لهم اي دين .

حسب تقديرات الصليب الاحمر النكاراغوي ، هناك ٧٥٠ الف شخص بدون مأوى ولا عمل ، قد تشردوا اثناء الحرب الاهلية ، وهؤلاء بحاجة اولا للرعاية الانسانية ، ولقد قدر الصليب الاحمر ان نفقات تغذية كل فرد منهم تكلف ٢٫٥ دولار يوميا كحد ادنى . وعلى هذا تكون النفقات الكلية لم تقرب من ٢ مليون دولار يوميا ! لكي يستمر هؤلاء على قيد الحياة . والحكومة المؤقتة لا تستطيع ان توفر مبلغ كهذا من الخزينة الخاوية التي تركها الدكتاتور لذلك فقد وضع الساندينيين امامهم اجراءات اشتراكية ثورية محددة تقضي بتأميم القسم الاكبر من القطاع التجاري والصناعي ، ففي المجال الزراعي تعتزم اجراء اصلاح زراعي جذري ، وذلك بتحديد الملكيات الزراعية واستصلاح اسلوب العمل الزراعي ، بهدف استيعاب الاف من الايدي العاملة العاطلة ، فالزراعة هذا العام على وجه الخصوص ، لم تساهم في الناتج القومي ولا في الميزانية نظرا لظروف الحرب الاهلية ، وللنزوح الفلاحين لمحاربة النظام السوموزي ، ولهجرة الاف منهم الى الدول المجاورة .

فالقطن على سبيل المثال يعتبر المورد الرئيسي للبلاد وللنقد الاجنبي ، لم يزرع هذا العام . وهذا يعني عجزا كبيرا في النقد الاجنبي قدر بـ ٣٥٠ مليون دولار كحد ادنى . ومع هذا العجز الكبير في الانتاج الزراعي تضاف مشكلة عودة الاف المهاجرين من انفلاحين من كوستاريكا الى نيكاراغوا . ان الامل الوحيد للحكومة حاليا هو نجاح عمليه حصاد القهوة في تشرين الثاني القادم ، والذي يمكن ان يوفر موردا حاليا مهما قدر بـ ٢٧٠ مليون دولار .

الساندينيون في مواجهة البرجوازية

تعمل البرجوازية المحلية حاليا لتسريب افكارها عبر مشروعات استيعاب الثورة وذلك بدعوتها لاقامة نظام ليبرالي ديمقراطي يأخذ على عاتقه اعادة بناء نيكاراغوا ، وذلك بجلب الاستثمارات الاجنبية لتمويل المشاريع الصناعية ، والدعوة لبلدان الغرب ان تساهم في الدعم المالي ، كما تتبنى البرجوازية داخليا مبدأ التنازل عن بعض من ارباحها في هذا المجال ، وتعارض تطبيق اصلاح زراعي جذري . وتدعي بان النهضة الزراعية يمكن ان تحدث اذا ما تركت الاراضي للارستقراطية الزراعية التي لها الخبرة والقدرة على تسيير الامور . والواقع ان البرجوازية التجارية او الارستقراطية الزراعية ترفض التنازل عن الارباح الكثيرة التي تحققها نتيجة التخلف الاقتصادي والثقافي في نيكاراغوا وهي حريصة على ان تجري الامور بما يعزز موقعها الاجتماعي والاقتصادي ، الا ان الجبهة الساندينية تعي جيدا هذه المحاولات البائسة . وان الـ ١٦ رجلا المهيمن لهذه الجبهة يقودون السلطة والجيش الثوري ولجان الدفاع الجماهيرية برغبون باعطاء السلطة كل السلطة للشعب، سياسيا واقتصاديا ، ويؤكدون على ان المسيرة الاشتراكية للبلاد هي الحل الاصوب والامثل للكوارث الاقتصادية في البلاد ، لذلك لن تسمح للبرجوازية باستيعاب الثورة ، وستجد هذه البرجوازية بان دورها قد انتهى وانها لن تستطيع الوقوف لعرقلة اعادة البناء الثوري ، وبذلك ستخسر دورها وتحزم حقائبها ونرحل كما حدث في كوبا في بداية الثورة حيث ، رحل معظم التجار والحرفيين والمهندسين والفنيين الى امريكا .

ان قادة الجبهة الساندينية يعلموا جيدا بان جماهيرهم الغفيرة تعاني من تفشي الامية ، وانها غير مسيسة نظرا للظروف القمعية التي مرت بها البلاد . وان رجال امثال توما بورج (وزير الداخلية الحالي وقائد منظمة الحرب الشعبية المستمرة ، وممثلها في قيادة الجبهة ، وخابيي ويلك احد قادة البروليتاريا، ودانيال اورتيغا ، وموسي حسن موراليوس (ابن مهاجر فلسطيني من الضفة الغربية) وهو القائد السياسي للجبهة الساندينية ومسؤول « الجبهة الوطنية التقدمية » هؤلاء القادة الماركسيين الثوريين الذين ناضلوا طيلة السنوات الماضية من اجل ثورة اشتراكية جذرية ، وقادوا في المعارك الضارية مع النظام البائد ، خيرة اصدقائهم واسرهم ، لن يسمحوا باعادة دور البرجوازية في استغلال وتحريف الثورة ، وان كل ما تطلقه صحف واذاعات الغرب من ان التيار البرجوازي للثورة الساندينية هو الغالب حاليا ، ليس الا امنيات وهمية ، واحلام كي لا يجدوا كوبا ثانية في امريكا اللاتينية (بالرغم من نيكاراغوا على لسان احد قادتها الثوريين يذكر بان للثورة النيكاراغوية خصوصيتها وهي الاولى وليست الثانية). ان زحف الثورة المسلحة الذي اغلقته الامبريالية بعد الثورة الكوبية في امريكا اللاتينية ، نجحت ثورة الساندينيون ان تفتحه من جديد ، ولن يكون الا خطوة اولى على الطريق . فمن بدايات الثورة وحتى انتصارها، حددت هويتها الثورية فهي تعادي الامبريالية وتعمل ضدها وفي نفس الوقت تتلقى المساعدات وتقيم علاقات التعاون مع حركات التحرر الوطنية في العالم وخاصة الثورة الفلسطينية كونهما يحاربان نفس العدو . فالدكتاتور سوموزا قد تلقى مساعدات كثيرة من دولة الكيان الصهيوني ، كما يعمل في الحرس الوطني خبراء عسكريون « اسرائيليون » ، ولقد اسقط الثوار في عملية احتلالهم لمدينة استيللي طائرة اسرائيلية . هذا غير السفينة التي بعثها الصهاينة الى سوموزا في ايامه الاخيرة ، والتي عادت ادراجها من حيث اتت . فضلا عن ان القائد الفلسطيني موسى حسن اوراليوس في الجبهة الساندينية يلعب دورا مهما اخرا على صعيد التحام الثورة الفلسطينية بالنيكاراغوية . ان كل المؤشرات تصب في عالمية الثورة ضد الامبريالية والصهيونية في العالم .

البلدان النامية تتجه نحو المصارف الخاصة

كشف تقرير اقتصادي تم اعداده من قبل الامانة العامة للامم المتحدة للمجلس الاقتصادي والاجتماعي التابع للمنظمة الدولية ، نمو الاتجاه لدى بلدان العالم الثالث القامية والفقيرة للحصول على قروض من المصارف الخاصة . وتدل احصاءات سنة ١٩٧٨ الماضية ان القروض من المصارف الخاصة لهذه البلدان كانت ضعف حجم القروض من المؤسسات الدولية والمساعدات الرسمية .

ولكن اذا كانت هذه الدراسة تدل على اتجاه بلدان العالم الثالث نحو الحصول على قروض من المصارف الخاصة بسبب الشروط الاسهل التي تقدمها هذه المصارف في العالم الراسمالي مقارنة بشروط صندوق النقد الدولي ، فان هذا الاتجاه يؤشر الى مستوى اعمق وبصورة متزايدة ، لهذه البلدان ، في دائرة القروض الغرفية والاستثمارية .

في الستة الماضية ، وبحسب هذه الدراسة ، دخلت البلدان النامية تسديدات لصندوق النقد الدولي زادت عما استدانته هذه البلدان من الصندوق خلال العام، بما قيمته ١٢٠ مليون دولار . والمعروف ان معظم قروض هذه البلدان باتت من اجل تحصيل ما تستطيع ان تسدد به ديونها ، وفي العديد من الحالات ، ما تستطيع ان تسدد به الديون المترتبة عن فوائد الديون ...

اما طبيعة ديون بلدان العالم الثالث في الاسواق التجارية فهي القروض على المدى القصير او المتوسط ، والتي تهدف بصورة عامة ، الى معالجة مصاعب موازين مدفوعات هذه البلدان التي باتت تعاني من عجز مزمن . ويلاحظ ان معظم البلدان التي حصلت على قروض من المصارف الخاصة في السنة الماضية ، هي البلدان القامية غير المنتجة للنفط . وقد ارتفعت قيمة القروض التي منحت لها خلال الاشهر التسعة الاولى من العام ، بـ ١٢٫ بليون دولار، ونسبة الزيادة هذه تشكل ضعف نسبة الزيادة عن ذات الفترة من سنة ١٩٧٧ .

زيمبابوي في مؤتمر لوساكا

عشية انعقاد مؤتمر بلدان الكومنولث في لوساكا عاصمة زامبيا ، كان ثمة اتفاق افريقي عام على وقف ما يسمونه بالاعتراف البريطاني الزاحف بحكومة الاسقف ابيل موزوريوا في سالزبوري . ورغم ان اكثر من قضية ستكون موضوع بحث المجتمعين في لوساكا ، الا ان قضية زيمبابوي ستكون واحدة من ابرز قضايا المؤتمر خاصة في ضوء السياسة التي كانت قد اعلنت عنها حكومة حزب المحافظين البريطانية ، التي تؤيد الاعتراف بثمرة صفقة التسوية الداخلية ورفع العقوبات الاقتصادية عن زيمبابوي روديسيا — الامر الذي تراهن عليه سالزبوري كثيرا .

وقد لوحظ ان المؤتمر امتنع عن دعوة جوشوا نكومو وروبرت موغابي لحضور المؤتمر كما امتنع عن دعوة الاسقف موزوريوا، وان انباء من لندن سبقت وصول رئيسة الحكومة مارغريت ثاتشر ، راحت تتحدث عن « تراجعها الهادىء » عن موقفها المعلن من هذه القضية وذلك لتجنب بحث ومناقشة في العمق للسياسة الخارجية البريطانية ، في وقت يشهد تعبئة افريقية ضد احتمال اعتراف بريطاني بحكومة الاسقف موزوريوا في سالزبوري .

وحرص رئيس زامبيا جوليوس نيريري على التحذير عشية افتتاح المؤتمر في يوم الاربعاء الماضي ، بانه سيكون على بريطانيا ان ترسل قواتها المسلحة لمساندة نظام حكم زيمبابوي — روديسيا فيما لو اعترفت ثاتشر بحكومة موزوريوا .

ورغم ان حكومة المحافظين قد قررت التريث بشان الاعتراف بحكومة موزوريوا الى ما بعد مؤتمر الكومونولث لتجنب موجة اعلامية ودعائية لن تكون في صالح بريطانيا بالتاكيد ، فانها لا تزال تبدو متمسكة بالموقف الراغب في رفع العقوبات الاقتصادية ، لان رفع هذه العقوبات عن زيمبابوي — روديسيا، لا يوازي الاعتراف ولو غير المباشر ، بل يشكل دعما جديدا للحكم الجديد الذي هو في امس الحاجة اليه والى نتائجه الاقتصادية، والى تاثيره المعنوي ، خاصة في الوقت الذي يحتاج فيه موزوريوا الى ما يقوي المكتسبات التي يستند اليها ، وهو غير واثق الى متى يستطيع الامساك بها .